الدرس الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلىٰ الله وسلم عليه ، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمـًا ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلىٰ أنفسنا طرفة عين ، أما بعد :

قال رحمه الله :

(حُدُودُ الْأَشْيَاءِ وَتَفْسِيرُهَا الَّذِي يُوَضِّحُهَا، تَتَقَدَّمُ أَحْكَامَهَا؛ فَإِنَّ الْحُكْمَ عَلَىٰ الْأَشْيَاءِ فَرْعٌ عَنْ تَصَوُّرِهَا.
فَمَنْ حَكَمَ عَلَىٰ أَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ قَبْلَ أَن يُحِيطَ عِلْمُهُ بِتَفْسِيرِهِ، وَيَتَصَوَّرَهُ تَصَوُّرًا يُمَيِّزُهُ عَنْ غَيْرِهِ؛ أَخْطَأَ خَطَأً فَاحِشًا.)

فهذا الفصل عقده المصنف الإمام ابن سعدي رحمه الله تعالىٰ ، لبيان حدّ الإيمان وتفسيره ، وقد أورد فيه رحمه الله تعالىٰ فيما يتعلق ببيان الإيمان وحدّه وتفسيره من البيان ما لا تكاد تجده في موضع آخر ، حيث قرر رحمه الله تعالىٰ تقريراً عظيمـًا للغاية بيان حقيقة الإيمان ، مستشهداً بالأدلة ؛ أدلة الكتاب والسنة المبينة لحدّ الإيمان وحقيقته وتفسيره ، بجمعٍ نافع ، وتقرير متين ، وبيانٍ بيّن ، وبدأ ذلك رحمه الله تعالىٰ بذكر قاعدة عظيمة معتبرة عند أهل العلم ، وهي أن الحكم علىٰ الشيء فرعٌ عن تصوره ، وأن لابد من معرفة حدود الأشياء ومعرفة تفسيرها قبل الخوض فيها ، لأن الحكم علىٰ الشيء فرعٌ عن تصوره ، والمعرفة بالإيمان لابد أن تكون عن طريق كتاب الله وسنة نبيه صلىٰ الله عليه وسلم إذ لامجال لمعرفة حقيقة الإيمان إلا من خلال الكتاب والسنة ، ولنقف في هذا الباب علىٰ قصة وردت في السنة تبين لنا هذا الأمر وهي قصة مجيء وفد عبد القيس إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم وهي في الصحيحين من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، وموضع الشاهد قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم لهذا الوفد : **«أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ ؟». قَالُوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»** ، مع أن القوم أهل لسان يعرفون مدلولات الألفاظ من حيث اللغة ، ويعرفون ماذا تعني كلمة إيمان لغة ، لكن لما قال لهم عليه الصلاة والسلام : **«أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ ؟». قَالُوا: «اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»** لأن هذه الحقائق الشرعية لا سبيل إلىٰ العلم بها إلا من خلال الكتاب والسنة ؛ كلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ، وعليه فإن أي خائضٍ في الإيمان بيانـًا لحقيقته وذكراً لما يتعلق به بغير استنادٍ علىٰ كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه فإنه سيضل ، عن سواء السبيل ، وقد قال الله تبارك وتعالىٰ لنبيه صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ

عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ فالإيمان إنما يعلم وتعرف تفاصيله من خلال كتاب الله تبارك وتعالىٰ ،

وسنة نبيه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه ، ومن تكلم في الإيمان بلا هذه المعرفة من حقيقة الإيمان من خلال الكتاب والسنة فإنه كما قال الشيخ رحمه الله تعالىٰ ، يخطيء خطأً فاحشـًا .

ثم شرع رحمه الله تعالىٰ ببيان حدّ الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، ذكر أولاً حده إجمالاً ثم فصّل القول تفصيلاً جميلاً مستنداً في كل ما يذكره علىٰ الأدلة من الكتاب والسنة .

قال رحمه الله تعالىٰ :

(أَمَّا حَدُّ الْإِيمَانِ وَتَفْسِيرُهُ: فَهُوَ التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ، وَالِاعْتِرَافُ التَّامُّ بِجَمِيعِ مَا أَمَرَ اللهُ وَرَسُولُهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالِانْقِيَادُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، فَهُوَ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ وَاعْتِقَادُهُ، الْمُتَضَمِّنُ لِأَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالِ الْبَدَنِ، وَذَلِكَ شَامِلٌ لِلْقِيَامِ بِالدِّينِ كُلِّهِ.)

هذا هو حد الإيمان وتفسيره : التصديق الجازم والإعتراف التاك بكل ما جاء عن الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه ، مع الانقياد ظاهراً وباطنـًا ، الإنقياد ظاهراً : أي بالجوارح ، وباطنـًا : أي بالقلب ، بأن يكون العبد مستسلمـًا لله ، ممتثلاً أمر الله سبحانه وتعالىٰ ، فليس الإيمان مجرد التصديق الذي يكون في القلب ، بل الإيمان مركب من أمورٍ في القلب ، وأمورٍ في الجوارح ، مركب من علم وعمل ، مركب من عقيدة وشريعة ، هذه حقيقة الإيمان ، فهو تصديقٌ قلبي **(وَاعْتِقَادُهُ، الْمُتَضَمِّنُ لِأَعْمَالِ الْقُلُوبِ وَأَعْمَالِ الْبَدَنِ،)** قال **(وَذَلِكَ شَامِلٌ لِلْقِيَامِ بِالدِّينِ كُلِّهِ.)** وتأمل لما يشهد لقوله **(وَذَلِكَ شَامِلٌ لِلْقِيَامِ بِالدِّينِ كُلِّهِ.)** خبر مجيء جبريل عليه السلام إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم في صورة أعرابي ، وقوله (أخبرني عن الإسلام ؟) فذكر عليه الصلاة والسلام الأعمال والشرائع ، ثم قال (أخبرني عن الإيمان) فذكر عليه الصلاة والسلام الأصول والعقائد ، ثم في تمام الحديث قال عليه الصلاة والسلام : (هذا جبريلُ أتاكم يعلمكم دينكم) فأفاد ذلك أن الدين يشمل الشرائع الذي فسّر بها الإسلام في هذا الحديث ؛ حديث جبريل ، ويشمل العقائد التي فسّر بها الإيمان في الحديث نفسه ، وهذا يفيد أن الإيمان عقيدة وشريعة ؛ علم وعمل ، ليس الإيمان مجرد التصديق في القلب ، بل الإيمان تصديقٌ بالقلب ، وإذعان ، وعملٌ بالجوارح وطاعة واتباع لشرع الرحمن .

قال رحمه الله تعالىٰ :

وَلِهَذَا كَانَ الْأَئِمَّةُ وَالسَّلَفُ يَقُولُونَ: «الْإِيمَانُ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ».
وَهُوَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، فَهُوَ يَشْمَلُ: عَقَائِدَ الْإِيمَانِ، وَأَخْلَاقَهُ، وَأَعْمَالَهُ

(وَلِهَذَا كَانَ الْأَئِمَّةُ وَالسَّلَفُ يَقُولُونَ: «الْإِيمَانُ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ».)

وهذا مجمع عليه بين أئمة السلف رحمهم الله تعالىٰ ، مجمعٌ علىٰ شمول الإيمان لهذا كله ، شموله للعقائد التي تكون في القلب ، والأقوال التي تكون باللسان ، والأعمال التي تقع من الجوارح ، وأن الإيمان يشمل ذلك كله ، وسيأتي ذكر الشواهد والدلائل تفصيلاً ، الشواهد لشمول الإيمان لذلك كله ، سيأتي الشواهد عليه تفصيلاً فيما سيقرره رحمه الله تعالىٰ ، قال قولٌ وعملٌ واعتقاد ، قولٌ : أي باللسان ، وعملٌ بالجوا رح واعتقادٌ

بالقلب ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، يزيد بالطاعة أي أن الطاعة وهي من الإيمان كلما زاد العبد منها زاد إيمانه ، والمعصية كلما فعلها العبد نقص إيمانه بحسب ذلك ، فهو يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، يزيد وينقص ، ولزيادته أسباب ، ولنقصانه أسباب ، وسيأتي عند المصنف رحمه الله تعالىٰ فصلٌ نافع في هذا الباب الذي هو زيادة الإيمان ونقصانه .

(فَهُوَ يَشْمَلُ: عَقَائِدَ الْإِيمَانِ، وَأَخْلَاقَهُ، وَأَعْمَالَهُ.) أي أن الإيمان شامل للعقيدة التي تكون في القلب ، وشاملٌ للعبادة بأنواعها ، عبادة القلب وعبادة اللسان ، وعبادة الجوارح ، والعبادة هي حق الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ عباده ، وشامل أيضاً للأخلاق ، قد قال عليه الصلاة والسلام : (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) فالأخلاق من الإيمان ، يزيد بزيادتها الإيمان ، وينقص بنقصها ، فالأخلاق من الإيمان ، والأعمال من الإيمان ، والإيمان بمفهومه العام الشامل يشمل ذلك كله .

(فَالْإِقْرَارُ وَالِاعْتِرَافُ بِمَا للهِ تَعَالَىٰ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ الْعُلْيَا، وَالْأَفْعَالِ النَّاشِئَةِ عَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أُصُولِ الْإِيمَانِ.) من أعظم أصول الإيمان وهذا شروعٌ من الشيخ رحمه الله تعالىٰ في التفصيل ، بيان حد الإيمان علىٰ وجه التفصيل من أعظم ما يدخل في الإيمان ، الإيمان بأسماء الله وصفاته ، ومن المعلوم أن الإيمان يقوم علىٰ أركانٍ ستة ، وهي الإيمان بالله والملائكة والكتب والرسل ، واليوم الآخر ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، والإيمان بالله هو أصل أصول الإيمان وأعظم أركانه ، وجميع الأركان راجعةٌ إليه ، كما قال سبحانه وتعالىٰ :﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾

بقية الأصول عائدة إلىٰ هذا الأصل ، فأصل أصول الإيمان هو الإيمان بالله ، والإيمان بالله سبحانه يقوم علىٰ أركانٍ ثلاثة ، هذا واحدٌ منها ، **(فَالْإِقْرَارُ وَالِاعْتِرَافُ بِمَا للهِ تَعَالَىٰ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ الْعُلْيَا، وَالْأَفْعَالِ النَّاشِئَةِ عَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أُصُولِ الْإِيمَانِ.)** قوله **(هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أُصُولِ الْإِيمَانِ.)** لأن هذا أحد أركان الإيمان بالله الثلاثة التي لا قيام للإيمان بالله سبحانه وتعالىٰ إلا عليها ، لا قيام للإيمان بالله سبحانه وتعالىٰ إلا عليها ، فأحد أركان الإيمان بالله سبحانه وتعالىٰ معرفة العبد بأسماء الرب سبحانه وتعالىٰ وبصفاته وأفعاله جل وعلا ، وهذا الأمر مقصودٌ للخلق ، لأن مقصود الخلق علمٌ وعمل ، مقصود الخلق علمٌ وعمل ، أما العلم وكونه مقصوداً للخلق فدليل ذلك قول الله سبحانه وتعالىٰ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ لماذا؟ ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ خلق من أجل ماذا ؟ من أجل العلم ، (لِتَعْلَمُوٓا۟) وفي سورة الذاريات قال :﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾فأفادت الآيتان أن الله خلق الخلق للعلم كما في آية الطلاق ، والعمل كما في آية الذاريات ، للعمل والعمل ، ولهذا التوحيد نوعان ؛ عملي وعملي ، فقوله **(فَالْإِقْرَارُ وَالِاعْتِرَافُ بِمَا للهِ تَعَالَىٰ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتِ الْكَامِلَةِ الْعُلْيَا، وَالْأَفْعَالِ النَّاشِئَةِ عَنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ؛ هُوَ مِنْ أَعْظَمِ أُصُولِ الْإِيمَانِ.)** لأن الإيمان يقوم علىٰ هذه

الأصول ، ومن أعظم الأصول التي يقوم عليها الإيمان بالله ، المعرفة بالله سبحانه وتعالىٰ وأسمائه وصفاته ، وكلما كان العبد بالله أعرف كان منه أخوف ولعبادته أطلب ، وعن معصيته أبعد .

قال رحمه الله :

(وَكَذَلِكَ الاِعْتِرَافُ بِمَا للهِ مِنَ الْحُقُوقِ الْخَاصَّةِ -وَهُوَ التَّأَلُّهُ وَالتَّعَبُّدُ للهِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا-؛ مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ.)
هذا الجانب الآخر الذي هو العملي ، والذي قبله العلمي ، فمن أصول الإيمان العظيمة الإعتراف بما لله من الحقوق الخاصة ، وهو التأله والتعبد ظاهراً وباطناً من أصول الإيمان ، إقرار العبد بأن الله سبحانه وتعالىٰ وحده هو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، وأن يخلص دينه لله سبحانه وتعالىٰ هذا من أعظم أصول الإيمان ،وهو مدلول كلمة التوحيد لا إله إلا الله .

(وَالاِعْتِرَافُ بِمَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ مَلَائِكَتِهِ، وَجُنُودِهِ، وَالْمَوْجُودَاتِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ، وَالْإِخْبَارِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ؛ كُلُّ هَذَا مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ.) وكذلك من أصول الإيمان الإعتراف بالملائكة وهم جند من جند الله سبحانه وتعالىٰ لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم ،﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾والإيمان بهم إيمانـًا بأسمائهم

وأوصافهم وأعدادهم ووظائفهم إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فصّل ، وهذا الإيمان أصل من أصول الإيمان ، وركنٌ من أركان الدين ، ولا يؤمن بالله سبحانه وتعالىٰ من لا يؤمن بملائكته ، وهذه الأصول ؛ أصول الإيمان أصولٌ مترابطة الإيمان ببعضها يستوجب الإيمان بباقيها والكفر ببعضها كفرٌ بباقيها ، وكذلك الإيمان باليوم الآخر ، واليوم الآخر يراد به كل ما يكون بعد الموت ، ومن مات قامت قيامته وجاءت ساعته ، فكل ما يكون بعد الموت داخلٌ في الإيمان باليوم الآخر من التفاصيل التي وردت في ذلك في كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه .

(وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ-، وَمَا وُصِفُوا بِهِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ، كُلُّ هَذَا مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ.)
كذلك من أصول الإيمان ؛ الإيمان بالرسل الكرام عليهم صلوات الله وسلامه ، وأيضـًا الإيمان بالكتب المنزلة علىٰ الرسل ، ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ فهذه من أصول الإيمان ، قال الله سبحانه وتعالىٰ :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾فمن أصول الإيمان العظيمة الإيمان بالرسل عليهم

صلوات الله وسلامه ، والإيمان بالكتب المنزلة عليهم .

قال رحمه الله تعالىٰ :

كَمَا أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أُصُولِ الْإِيمَانِ: الاِعْتِرَافَ بِانْفِرَادِ اللهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، وَعِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِخْلَاصَ الدِّينِ للهِ، وَالْقِيَامَ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ وَحَقَائِقِهِ الْبَاطِنَةِ؛ كُلُّ هَذَا مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ.
من أصول الإيمان : **(الاِعْتِرَافَ بِانْفِرَادِ اللهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، وَعِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،)** وهذا مدلول

كلمة التوحيد لا إله إلا الله ، وهي قائمة علىٰ النفي والإثبات ، نفي العبودية عن كل من سوىٰ الله ، وإثباتها بكل معانيها لله وحده ، إخلاصاً وصدقاً مع الله ، وإفراداً له سبحانه وتعالىٰ بالعبادة ، وبراءة من الشرك كله ، قال **(وَالْقِيَامَ بِشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ وَحَقَائِقِهِ الْبَاطِنَةِ؛ كُلُّ هَذَا مِنْ أُصُولِ الْإِيمَانِ)**

(وَلِهَذَا رَتَّبَ اللهُ عَلَىٰ الْإِيمَانِ دُخُولَ الْجَنَّةِ والنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ رِضْوَانَهُ وَالْفَلَاحَ وَالسَّعَادَةَ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ شُمُولِهِ لِلْعَقَائِدِ، وَأَعْمَالِ الْقُلُوبِ، وَأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ؛ لِأَنَّهُ مَتَىٰ فَاتَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ حَصَلَ مِنَ النَّقْصِ وَفَوَاتِ الثَّوَابِ، وَحُصُولِ الْعِقَابِ؛ بِحَسَبِهِ.)

هذه فائدة عظيمة جداً أوردها رحمه الله كشاهدٍ لما سبق ودليل لما تقدم ، من شمول الإيمان للدين كله ، عقائده وشرائعه ، فمن الشواهد علىٰ ذلك ، أن الله رتّب **(علىٰ الْإِيمَانِ دُخُولَ الْجَنَّةِ والنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ رِضْوَانَهُ وَالْفَلَاحَ وَالسَّعَادَةَ،)** بنصوصٍ كثيرةٍ جداً يأتي شيء منها عنده رحمه الله تعالىٰ .

قال **(وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِمَا ذَكَرْنَا مِنْ شُمُولِهِ لِلْعَقَائِدِ، وَأَعْمَالِ الْقُلُوبِ، وَأَعْمَالِ الْجَوَارِحِ)** فدخول الجنة والفوز بالسعادة ؛ سعادة الدنيا والآخرة لا يكون إلا بذلك أي بالإيمان الذي هو شاملٌ للعقائد ، وشاملٌ للأعمال ، وشاملٌ للأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة ، سيأتي من الدلائل شيءٌ كثير ، مثلاً قول النبي صلىٰ الله عليه وسلم لما سئل عن أكثر شيء يدخل الناس الجنة قال (تقوىٰ الله وحسن الخلق) ، إذن تقوىٰ الله وحسن الخلق من الإيمان لأن الجنة رتّب دخولها علىٰ الإيمان ، فجميع أعمال الإيمان داخلةٌ في مسمىٰ الإيمان والثواب يترتب علىٰ هذه الأعمال ، ودخول الجنة والفوز بالرضوان ، ولهذا يقول رحمه الله : **(لِأَنَّهُ مَتَىٰ فَاتَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ حَصَلَ مِنَ النَّقْصِ وَفَوَاتِ الثَّوَابِ، وَحُصُولِ الْعِقَابِ؛ بِحَسَبِهِ.)** قد قال الله تعالىٰ عن ثواب أهل الجنة ودرجاتهم فيها ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ فهم في الجنة درجات وهذا التفاوت بينهم في رتب الجنة ودرجاتها بتفاوت حظهم ونصيبهم من أمور الإيمان وأعماله وأخلاقه.

(بَلْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ الْإِيمَانَ الْمُطْلَقَ تُنَالُ بِهِ أَرْفَعُ الْمَقَامَاتِ فِي الدُّنْيَا، وَأَعْلَىٰ الْمَنَازِلِ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩]. وَ« الصِّدِّيقُونَ» هُمْ أَعْلَىٰ الْخَلْقِ دَرَجَةً بَعْدَ دَرَجَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَفِي مَنَازِلِ الْآخِرَةِ ، وَأَخْبَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ مَنْ حَقَّقَ الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ؛ نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ ، وَيُفَسِّرُ ذَلِكَ وَيُوَضِّحُهُ؛ مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الشَّرْقِيَّ أَوِ الْغَرْبِيَّ فِي الْأُفُقِ؛ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ». فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله! تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَىٰ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» ، وَإِيمَانُهُمْ بِاللهِ وَتَصْدِيقُهُمْ لِلْمُرْسَلِينَ: فِي ظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ، فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَفِي كَمَالِ طَاعَتِهِمْ للهِ وَلِرُسُلِهِ، فَقِيَامُهُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ؛ بِهِ يَتَحَقَّقُ إِيمَانُهُمْ بِاللهِ وَتَصْدِيقُهُمْ لِلْمُرْسَلِينَ.)

هذا دليلٌ بدأ به رحمه الله تعالىٰ في تقرير ما سبق وهو شمول الإيمان للدين كله عقيدةً وشريعة ، فأورد قول الله سبحانه وتعالىٰ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ ومن المعلوم أن الصديقين هم في أعلىٰ رتب الدين

وأرفعها ، ورتبتهم بعد رتبة النبيين ، ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فذكر رتبة الصديقين في المرتبة التالية لمرتبة الأنبياء وهذه الآية الكريمة ذكر الله سبحانه وتعالىٰ فيها أن الذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ، قال : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ ليتضح الأمر وليتبين المعنىٰ في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ أيدخل الجنة من لم يؤمن بالله ورسله ؟ أليس كل من دخل الجنة يؤمن بالله ورسله ؟ أليس كل من دخل الجنة مؤمنٌ بالله ورسله ؟ أيدخل الجنة غير مؤمنٍ بالله ورسله ؟ إذن ما معنىٰ قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ تأمل كلام الشيخ رحمه الله تعالىٰ قال :

(أَنَّ مَنْ حَقَّقَ الْإِيمَانَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ) ثم تأمل كلامه الآتي فيما بعد قوله : **(وَإِيمَانُهُمْ بِاللهِ وَتَصْدِيقُهُمْ لِلْمُرْسَلِينَ: فِي ظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ، فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَفِي كَمَالِ طَاعَتِهِمْ للهِ وَلِرُسُلِهِ، فَقِيَامُهُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ؛ بِهِ يَتَحَقَّقُ إِيمَانُهُمْ بِاللهِ وَتَصْدِيقُهُمْ لِلْمُرْسَلِينَ.)** فليس الإيمان بالله وتصديق المرسلين مجرد شيء يكون بالقلب ولا أثر له إطلاقًا علىٰ الجوارح ، أو لا أثر له علىٰ الجوارح إلا الأثر اليسير القليل ، وإنما هو حقيقةٌ تقوم بالقلب تملأه وتعمره وتكون راسخةً فيه ، وتظهر آثارها علىٰ جوارح العبد ذلاً وخضوعًا ، وإنكساراً وإتباعًا لنهج الأنبياء والمرسلين ، عليهم صلوات الله وسلامه .

وذكر أن مما يفسر هذه الآية ويوضحها :

مَا ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أن صلىٰ الله عليه وسلم قَالَ: «**إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ فِي الْجَنَّةِ،**» من هم أهل الغرف ؟ أهل المنازل الرفيعة العالية ، لأن الجنة درجات ورتب ، فأهل الجنة ليتراءون أهل الغرف ينظرون إليهم ، أهل المنازل العالية ، قال :«**كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الشَّرْقِيَّ أَوِ الْغَرْبِيَّ فِي الْأُفُقِ؛**» مثل ما أنتم الآن في الدنيا تنظرون إلىٰ الكوكب الرفيع العالي في السماء ، قال :«**لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**». أي في الإيمان ، الإيمان الذي دخلوا به جميعًا الجنة ، الإيمان بالله ورسله ، الذي دخلوا به جميعًا الجنة هم متفاضلون فيه ، وليسوا فيه علىٰ رتبة واحدة ، فلتفاضل ما بينهم نال هؤلاء أهل السبق والفضل المنازل العالية ، والرتب الرفيعة .

فَقَال الصحابة : (**يَا رَسُولَ الله! تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ**)،وهذا من فقه الصحابة ، رضي الله عنهم ، لما قال لهم ذلك عليه الصلاة والسلام ظنوا أن هذه الرتب بما تحتاج من جد وإجتهاد وعمل ونصح وصدق إلىٰ آخره ، ظنوا أنها خاصة بالأنبياء أرفع الخلق إيمانًا ، وأعلاهم منزلة ومكانة ، **(فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله! تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ، لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَىٰ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ».) (آمَنُوا بِاللهِ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ».)** هو الذي ذكر في الآية : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ فهذا فيه فائدة عظيمة جداً أن الإيمان بالله ورسله يتفاوت الناس فيه تفاوتًا عظيمًا ، وأن من حقق الإيمان بالله ورسله تحقيقًا تامًا كاملاً فهو صدّيق ، بلغ مرتبة الصديقية التي هي أعلىٰ رتب الدين ، وهذا يعني أن هذا التحقيق لهذه المرتبة ، هذا التحقيق لهذه المرتبة يبلغ العبد المبالغ الرفيعة في القيام

بأعمال الدين وشرائعه وأخلاقه وآدابه ، كما قرر بذلك رحمه الله بقوله : (**وَإِيمَانُهُمْ بِاللهِ وَتَصْدِيقُهُمْ لِلْمُرْسَلِينَ: فِي ظَاهِرِهِمْ وَبَاطِنِهِمْ، فِي عَقَائِدِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، وَفِي كَمَالِ طَاعَتِهِمْ للهِ وَلِرُسُلِهِ، فَقِيَامُهُمْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ؛ بِهِ يَتَحَقَّقُ إِيمَانُهُمْ بِاللهِ وَتَصْدِيقُهُمْ لِلْمُرْسَلِينَ.**

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لاإله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلي وسلم علىٰ عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .